النيل والسودان (*)

للأستاذ محمود غنيم

سائلاه أأنت نبعُ الجنان ؟ أم جنى النحل أم رضاب الغواني ؟
أم رحيق طالت عليه الليالي لم يعتّق أمثاله في الزمان ؟
يا نديمي إنما أنا صب بابنة النيل لا بنت الحان
أترعا من منابع النيل كأسي واهتفا باسمهن ثم اسقياني
يا نديمي تلك ساعة صفو سنحت فاختلستها من زماني
أسقياني سلافة عُصرت من قبل خلق الكروم في البستان
خمرة لم تطش بلب لبيب شربها شعبة من الإيمان
عصر الناس كل خمر وخمري عصرت كرمها يدُ الرحمن
سائلاه أبين عبريه ماء أم لجين وعنبر سائلان ؟
شيب آذيه فكان عقيقاً وصفا فهو ذوب حب الجمان
وأطافت به الرياح رخاء فهو حلم في خاطر الوسنان
وأطافت به الأعاصير هوجا فهو طيش الشباب في عنفوان
وسخا فهو حاتميّ العطايا وطغى فهو عارم الطغيان
واستوى فهو كالقدود اعتدالا وتثنى تثني الخيزران
وتلوى في سيره أفعوانا لا يمج السموم كالأفعوان
مثل صدر الحليم في الرحب أوفى ضيق صدر المدال النضبان
يرد الناس حوضه أبد الده ر ولا يشتكي من النقصان
هو طب الجموم من كل داء هو طهر لها من الأدران
كاد أن يغسل القلوب من الحق د ويمحو كوامن الأضغان
شق مجراه وابتنى شاطئيه بيديه مهندس الأكوان
أنا أهواه ما سقى يانع الرو ض وما بل غلة الظمآن
أنا أهواه ما حييت فإن مت فحوكوا من عشبه أكفاني

* * *

أيها النيل كم لبثت ؟ ومن أي ن تفجرت ؟ ما درى الثقلان
سابق أنت للمجرة أم أنـ ـت عهداً أم أنتما توءمان
يا سجل التاريخ حدث بما عا ينت ليس السماع مثل العيان
كيف حاد المؤرخون عن الحق د وجاروا بالإفك والبهتان
قد شهدت الإنسان يأوي كهوفا ويؤاخي فصائل الحيوان
وشهدت الإنسان يقتطع السحـ ـب ويؤوي رفاقه الهرمان
حدث الناس عن فراعين حمر كيف بذوا الشعوب في البنيان
كيف دانت لدولة الفرس مصرٌ كيف دانت لعاهل اليونان ؟
هات يا نيل ليلة من ليالي « كيلُبطرا » وقيصر الرومان
حدث الناس عن بسالة عمرو وجنود الفاروق في الميدان
أنت يا نيل معرض للحضارا ت وشتى الشعوب والأديان
أفأبصرت كالحنيفة دينا أو رسولا يحكي فتى عدنان ؟

* * *

يا رفيق البنان كيف حفرت الصـ ـخر بالظفر يا رفيق البنان ؟
كيف دانت لك الهضاب الغواني كيف لانت صلابة الصوان ؟
كيف جبت الفلا بغير دليل وملأت الصحراء بالعمران ؟
حوّلت كيمياؤك الترب تبراً ونفخت الحياة في الصفوان
ليت شعري أساحر بعصاه أنت أم أنت عالم روحاني ؟
كم نسجت الثياب من غير نول ثم وشيتها بألف دهان
رب حقل كسوته بعد عرى فإذا الحقل أخضر الطيلسان
ما بكت أوغدت سواقيك لكن لك رنان آية الشكران
أنت يا نيل فاتح فتح المد ن بغير الحديد والنيران
سائر لا تحيد فوق صراط كقطار يمشي على قضبان
دائر بين لجة وبخار كنجوم السماء في الدوران
لك في الأرض والهواء مدار حار فيـه مقوّم البلدان
قربوا الشاء للسماء وزفت كلُّ خود إليك في مهرجان
ليت شعري أحسنوا لك صنعاً أم أساءوا بذلك القربان ؟
أقلوب الأرباب مثل قلوب النـ ـاس تهوى فواتر الأحقان ؟

* * *

فيك حبّبت كل ذات شراع تتهادى تهادي النشوان
وبنات البخار إذ هي تعدو عدْو خيل الطراد يوم الرهان
الجواري روائح وغوادٍ فيك يرقصن كالجواري الحسان
أرسل الفلك في الفضاء صفيراً رن في مسمعي رنين الأذان
ومشى يمخر العباب ويلقى المـ ـوج سكانه على الشطآن
فإذا الموج فوقها يتراءى كتراءي الولدان في الأحضان
رقصت موجة وغنت سواها بخرير منظم الألحان
قلت — والموج راقص ومغن ليت شعري أذاك حفل قران
وتهادى النسيم أين مسا من رفيف الندى على غصن بان
ونوالت على العيون الرائي مرهفات للحس والوجدان

(*) ألقى الشاعر هذه القصيدة في حفلة التكريم التي أقيمت له بندي المريخيين بأم درمان .

صور تبعث التأمل والشعـ ـر وتوحي برائعات المعاني
وشخوص تلوح أو شخوص سـ ـكرى وم في لوحة الفنان
وكأن الهضاب تومي إلينا بتحايا الإخوان للاخوان
وتكاد الأشواق تدفع بالهدـ ـلك وتحتل موضع الربان
أيها الفلك إن بلغت بنا السو دان فاهدأ فقد بلغنا الأماني
بلد فاته وقاني النيـ ـل ورواه مثلما روانى
جمعتني به شريعة طه وهداه منهاجها وهداني
بلد ردّدت لياليه شعري وشجاها من لحنه ما شجاني
نحن خلان، رب روح وروح في سماء القريض يلتقيان
رشفة من منابع النيل تربي حسناتي في كفة الميزان
ووقوف بهن يمحو الخطايا ويجُب الذنوب بالغفران
أتراني في موسم الحج يمـ ـمت حاكم أطوف بالأركان؟
أم تراني حسبت زمزم يجري ماؤها حيث يلتقي الرافدان
كل مغنى من بين تلك المغاني حرم قد أجله الحرمان
جيرة النيل أرضكم فوق ظهر الأ رض نفح من جنة الرضوان

***

سحب دمعها يسيل سجاما يا لدمع يجري بلا أحزان
وشعاع تزجيه شمس ضحوك ذات دل ومبسم فتان
وكنوز لم يكشف الستر عنها وأراض عذراء غير عوان
أيها النيل إن شطك رمز الخـ ـلد في ذلك الوجود الفاني
أيها النيل حول شطك شعب يتحلى بسمرة الأبدان
ذو خصال مثل القواضب بيض ووجوه في سمرة المرّان
سمرة اللون في محياه تُرى باخضرار الرياض في «نيسان»
ولو أن القلوب صارت وجوها كنتمو كالبدور في الألوان
علم السحب جودكم كيف تهمي وأمدّ النباتين بالفيضان
من أياديك يازمان — وما أنـ ـدرها — رحلتي إلى السودان
أنا فيه في منزلي وعشيري آنس بالسكان والقطان
شر ما تبتلي به نفس حرّ غربة الحر وهو في الأوطان
إن مصرا وإن سودان مصر في رضاع وفي دم أخوان
وهما منذ كوّن الله هذا الـ ـكون شعب ولا أقول: اثنان
أمة أمها الطبيعة والنيـ ـل أبوها الأب الأبر الحاني
ربط الله بيننا برباط بين وثيقين الضاد والقرآن
لن يحل الإنسان ما عقدته قدرة الله خالق الإنسان

محمود غنيم

الجمال النائم

للأديب محمد محمد علي السوداني

سرمد حفته أمال ظماء رفت الفتنة فيه والصفاء
وتمشى في دمائي نشوة حلوة الهمس وأحلاماً وضاء
شاد في أعماق نفسي معبداً أفرغت أسرارها فيه السماء
فاض منه الطهر واستدرت به مهيج حيرى بها جاش الرجاء
سجد الدهر على أعتابه خاشع السجدة مهموس الدعاء
رعشة الهيمان في محرابه تفهم الدنيا تزوعاً وبكاء
كونه الصوفي روض حالم ساحر النضرة نشوان الجواء
خالد البهجة فجرى الرؤى في الربيع الطلق أو برد الشتاء
كله حسن وشوق ضارع وأمان ظمئات ودعاء
وظلال رقصت أحلامها تحت سوق الدوح رمز الكبرياء
وفراشات طراب نهلت من رحيق الزهر صرفاً ماتشاء
قبست من لونه ألوانها ونضت في حانه ثوب الرياء
فهي تشرب ممن في غيه وهي زهو طائر ملء الفضاء
خضرة المرج غناء عطر في فم البلبل مشبوب الغناء
وهدير الماء شكوى عاشق وحفيف الروح أنغام الوفاء
عالم كالوهم إلا أنه عالم الحسن بأفق الشعراء
ترتمي فيه الأماني زورقاً مشرق الطلعة جذاب الرواء
رفه اللحن إلى شط الهوى فتهادى في عباب من ضياء
سرت الأحقاب في موكبه تنهب المجداف نهباً في خفاء
فرت الظلماء في آفاقه وتنشتها سيول من ذكاء
لست تدري أصباح غارق في شفوف الغيم أم ذاك الماء
أيها النائم رفقاً أننا لمحة حيرى وأنضاء شقاء
مالنا في الحسن إلا وحيه وعجايبه القوم سعداء
أصرف الأغراء عني مشفقاً واحجب الفتنة عني بالرداء

محمد محمد علي السوداني